



المدارس في كتاب المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور للصريفيني

(ت641هـ/1243م)

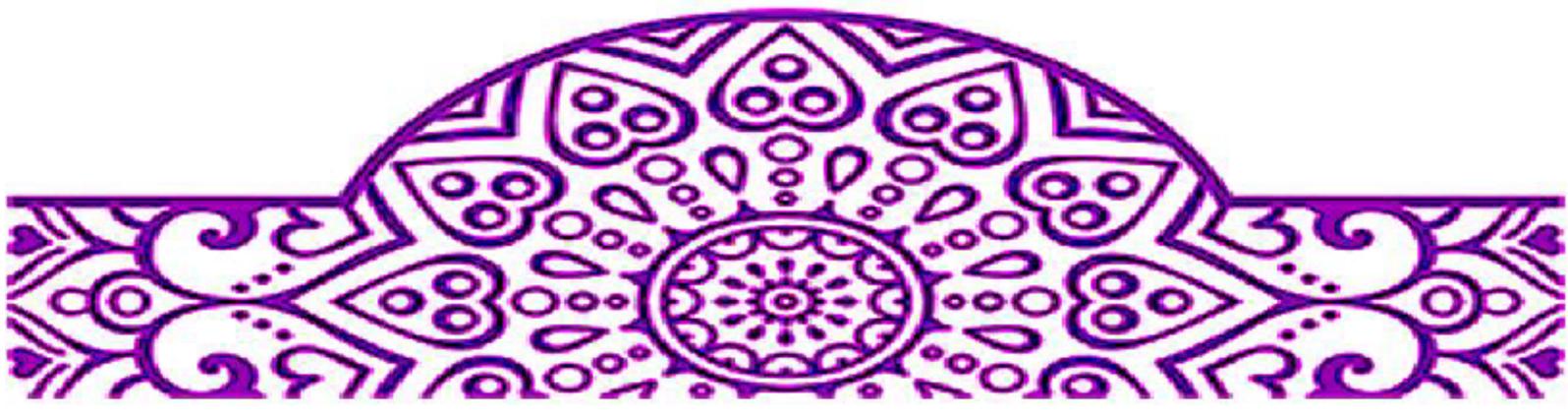
أ.م.د. بهجه علي محمد البياتي

جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات



**The Schools in Kitab Al-Muntakhab from the
Context of the History of Nishapur “ by Al Srifene
(641 A.H - 1243 A.M)**

**Professor Doctor Bahja Ali Muhammad Al Bayati
Baghdad University/ College of Education for
Women**



ملخص البحث:

يتناول هذا البحث، دراسة تاريخية عن المدارس التي ذكرها صاحب كتاب المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور للصريفيني (ت641هـ/1243م)، حيث شهدت مدينة نيسابور في العصور الإسلامية تطوراً علمياً وفكرياً، ومنها المدارس المختلفة والمتنوعة التي بناها وأسسها العلماء والأمراء وكبار رجال الدولة. وكتاب المنتخب من السياق، هو عبارة عن كتاب تراجم لأبرز علماء نيسابور، ويحتوي على معلومات مختلفة ومقتضية عن مدارسها وذلك من خلال تراجم أولئك العلماء. وفضلاً عن ذلك فإن هذا الكتاب، يعد ثروة علمية تراثية كبيرة لما يحتويه من معلومات مهمة ومتنوعة عن الحركة العلمية والثقافية والفكرية لمدينة نيسابور، والمدن الإسلامية الأخرى. ويظهر لنا الكتاب ذلك التكامل العلمي بين تلك المدن الإسلامية من خلال التواصل والتبادل بينهما بدون حدود وعوائق

Abstract

Schools in AL-Muntaghab Min Al-Seiq Book, To The Nishapur City For The Seerfeni (D.641 M/1243M)

This research deals with a historical study of the schools by the authors, where the city of Nisapur in the ate Islamic times of scientific intellectual development including the various and diverse schools built and founded by scientists, princes, and senior states men.

This book is a translation of the most proment scientists of Nichapur and contains different and concise information about its schools, through the translations of those scientists. In addition, this book is considered a great scientific wealth for its important and diverse information about the scientific and cultural movement of Nishapur and other Islamic cities.

The book shows us that scientific integration between these cities through communication and exchange between them without boarders and obstactes.

المقدمة

شهد العالم الإسلامي في العصور الوسطى تطورات سريعة ومتباينة وأسباب متعددة، ومما ساعد على ذلك تجزئة وتقسيم الدولة العباسية، والوريثة للدولة الأموية إلى دويلات وإمارات متصارعة ومتنازعة، وفي الوقت نفسه فإن هذا الصراع قد ساعد على ازدهار العلوم المختلفة وعلى وجه الخصوص في المسائل الفقهية والكلامية، وذلك من خلال المنافسة والصراع بين تلك الدويلات والإمارات في العصور العباسية المتأخرة، وعلى وجه الخصوص القرون الهجرية الثلاثة الأخيرة من هذه الدولة التي كانت مترامية الأطراف في بقاع العالم.

وشهدت مدينة نيسابور الكثير من النشاطات العلمية والسياسية، مما دفع العلماء والكتاب في الكتابة والتأليف، ومنها كتاب المنتخب من السياق الذي يعد من كتب التراجم المعتمدة، ويمتاز ذلك الكتاب بأهميته من خلال ترجمته إلى العشرات من على مدينة نيسابور، مع تزويدنا بالكثير من المعلومات الأخرى المختلفة، ومنها المدارس في مدينة نيسابور، والمدن الإسلامية الأخرى، على الرغم من أن هذه المعلومات مقتضبة إلا أنها تزودنا ببعض المهم والمفيد منها. هذا وقد تم الاستعانة في البحث على مجموعة من كتب التاريخ والتراجم والجغرافية ذات الصلة بموضوع البحث، وكذلك بعض المراجع العربية التي يمكن الاستفادة منها لدعم المعلومات التاريخية في تلك المصادر القديمة.

كتاب المنتخب من السياق في تاريخ نيسابور:

كما بينا فإن هذا الكتاب هو كتاب في التراجم ويختص بترجمة علماء نيسابور وأئمتهم ورواة الحديث منهم، الذين ولدوا ونشأوا فيها، والذين قدموها واجتازوا بها. والكتاب لمؤلفه (عبد الغافر بن إسماعيل بن أبي الحسين عبد الغافر بن محمد الحافظ المفيد اللغوي الإمام أبو الحسن الفارسي ثم النيسابوري) مصنف (كتاب نيسابور) وكتاب (مجمع الضرائب) و(المفهم لشرح مسلم)، كان من أعيان المحدثين بصيراً باللغات فصيحاً بليغاً عذب العبارة، ولد سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، وحصل على إجازة الحديث لعدد من العلماء في عصره، ورحل إلى مدن إسلامية متعددة، ثم ولي خطابة نيسابور، وعاش ثمانياً وسبعين سنة، مات سنة تسع وعشرين وخمسمائة(1).

أما من انتخب هذا الكتاب فهو الصيرفي، وهو إبراهيم بن محمد الأزهر بن أحمد بن محمد الحافظ تقي الدين أبو إسحاق الصيرفي العراقي الحنيلي، ولد سنة إحدى وثمانين وخمس مائة، وتوفي بدمشق سنة إحدى وأربعين وستمائة ودفن بقاسيون، كان أوجد أدعية العلم رحل إلى الشام

والجزيرة وخراسان وأصبهان، وولي مشيخة الحديث، وعندما قدم الشام روى بها، وتاريخه وتواليه تدل على معرفته وحفظه(2).

أما متن الكتاب، فأن للمؤلف منهجيته الخاصة في كتابة هذا الكتاب ومن أهمها ما يأتي: أن أغلب تراجم الكتاب هم من العلماء، والمحدثين، والغالب على التراجم هم الصوفية، حيث كان للصوفية أثرهم الواضح في العالم الإسلامي وعلى وجه الخصوص في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وبروز السلاجقة كقوة سياسية مهمة في العالم الإسلامي.

انفرد بذكر تراجم بعض العلماء، الذين لم تذكرهم المصادر التاريخية، وكتب التراجم الأخرى، ولذلك فهناك الكثير من التراجم لا يوجد عنهم معلومات في مصادر أخرى.

يقوم المؤلف بترجمة أغلب العلماء والمحدثين، ويذكر للبعض منهم وظيفته العلمية في المدارس بنيسابور، ولكن وللأسف الشديد فإنه لم يبين لنا الجزء الأعظم من تراجمه وعلاقتهم بالمدارس، وهي مسألة استدرابية من قبل المؤلف.

لم يزودنا بالمعلومات الكافية عن تلك المدارس على الرغم من أهميتها، ولكنه أشار إلى البعض منهم من تراجمه في وظيفة معينة في المدرسة.

يتمتع المؤلف بالدقة والتركيز في كتاباته، ولذلك يذكر أحياناً وفاة بعض العلماء في وقت محدد من يوم معين، ويعطي إلينا تفصيلات وافية عن ذلك اليوم.

مدينة نيسابور:

جغرافية المدينة: هي إحدى المدن المهمة في بلاد فارس، والتي كتب عنها صاحب كتاب السياق في تاريخ نيسابور، وتقع هذه المدينة (في الشمال الشرقي من خراسان وبها يمر طريق الحرير العظيم العابر إلى اكناف المشرق والصين)(3)، وتكاد تتوسط مدن إقليم خراسان المعروفة، فهي تبعد عن مدينة قومس(4) غرباً بسبعة وسبعين فرسخاً، وعن مدينة مرو الشاهجان شمالاً سبعين فرسخاً، وعن مدينة سرخس(5) شرقاً أربعين فرسخاً، وعن مدينة هراة(6) جنوباً بثمانين فرسخاً(7).

وأسهب الجغرافيون القدامى عن خيرات وطبيعة مدينة نيسابور، فبينوا بأنها تشغل أراضي واسعة، معظمها عامرة بالمدن والقرى والسكان، ولها: (حدوداً واسعة ورساتيق عامرة)(8).

ليس هذا فحسب، بل ليس بخراسان مدينة أصح هواء وأفسح فضاء وأشد عمارة وأدوم تجارة وأكثر سابلة وأعظم قافلة من نيسابور(9).

مدارس نيسابور: يعود الفضل الكبير لتأسيس المدارس في المشرق الإسلامي إلى السامانيين(10) والذين امتد نفوذهم إلى بلاد ما وراء النهر، وكان للأمير الساماني إسماعيل بن أحمد بن سامان (ت292هـ/907م)، من أبرز المدارس في منطقة بخارى، وسميت باسم تلك المنطقة بمدرسة

بخارى(11). ثم ظهرت وبوضوح مدارس مدينة والتي تميزت عن المدارس الأخرى في العالم الإسلامي في تلك الحقبة التاريخية بسبب التنظيم الدقيق لمدارسها، وكانت أول مدرسة في نيسابور هي مدرسة حسان بن محمد القرشي (ت349هـ/960م)(12).

وكانت هذه المدارس تتكون من الطلاب، وهم طالبي العلم والمعرفة، وأغلب تلك العلوم في الحقبة التاريخية، هي العلوم الفقهية والشرعية والحديثية، فضلاً عن ذلك فهناك الأساتذة أو الشيوخ في المدرسة وهم يقومون بتدريس الفقه أو الحديث أو التفسير ويكون مطابقاً لشروط الوقف لا يزيد ولا ينقص(13)، وهنالك المعيدون، والمعيد عليه قدر الزائد على سماع الدرس من تفهم بعض الطلبة ونفعهم، وعمل ما يقتضيه لفظ الإعادة(14)، هذا فضلاً عن الأشخاص الآخرين الذين يقومون بأعمال إدارية في تلك المدارس.

أما أهم وأبرز مدارس مدينة نيسابور والتي ذكرها صاحب كتاب المنتخب في السياق أو لم يذكرها، فهي كالاتي: تنوعت المساهمات والمشاركات المختلفة في أسباب تأسيس وبناء هذه المدارس، فهناك بعض هذه المدارس قد تم بنائها من قبل كبار رجال الدولة وذلك تثميناً منهم لدور العلم والمعرفة في المجتمع، أو لأسباب عقديّة وسياسية ومنها:

مدرسة فورك: هي مدرسة الإمام أبي بكر محمد بن الحسن فورك الأصبهاني (ت406هـ/1015م)، وقام ببناء هذه المدرسة إحدى الشخصيات الرسمية البارزة في نيسابور، وهو صاحب الجيش الأمير ناصر الدولة أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور (ت378هـ/988م)(15).

المدرسة السعيدية: هي المدرسة التي بناها والي نيسابور الأمير نصر بن سبكتكين، وكانت فترة بداية ولايته للمدينة سنة (390هـ/999م)(16).

مدرسة عميد خراسان: وهي المدرسة التي بناها عميد خراسان محمد بن منصور أبو سعد النسوي المعروف عميد خراسان (ت494هـ/1100م)، والذي قام ببناء بعض المدارس في المدن الإسلامية حياً منه للعلم والمعرفة، ومنها مدرسته في مدينة نيسابور(17).

مدرسة الأمير أبي نصر ابن أبي الخير: وهي المدرسة التي بناها الأمير أبي نصر بن أبي الخير، وهو أحد أعيان مدينة نيسابور، وقام بافتتاحها سنة (510هـ/1116م)(18).

المدرسة النظامية: وقام بتأسيس وبناء هذه المدرسة المعروفة الوزير نظام الملك (ت485هـ/1092م)، وكان الوزير البارز في عهد السلطانين السلجوقيين (ملكشاه والرب أرسلان)، وقام بتأسيس مدرستين في بغداد ونيسابور، والغرض الأساس من هذه المدرسة هي للتثقيف والتدريس العقدي والسياسي، حيث برزت في تلك الفترة التاريخية الحركة الإسماعيلية والتي نشطت

في أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي، وكانت مدرسته تقوم بتدريس المواضيع العقدية للانتصار للشافعية على الإسماعيلية، وتم تأسيس مدرسته في نيسابور سنة (450هـ/1058م) (19).

وهناك البعض من هذه المدارس في نيسابور، قد تم تأسيسها وفق الترويج والتلفيق المذهبي، إذ أنها متخصصة في العلوم الفقهية والشرعية، وبما أن أغلبية أهل نيسابور، هم وفق المذهب الشافعي، فقد تم تأسيس المدارس التالية وفق هذا المذهب:

مدرسة الأسفرايني: بناها الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الأسفرايني (ت428هـ/1027م) (20).

مدرسة الأسترابادي: وقام ببناء هذه المدرسة الفقهية أبو سعد إسماعيل بن علي المثني الأسترابادي (ت448هـ/1056م) (21).

مدرسة أبي بكر البستي: وقام ببناء هذه المدرسة أبو بكر أحمد بن محمد بن عبيد الله البستي (ت429هـ/1037م) وهو من كبار فقهاء الشافعية في مدينة نيسابور (22).

المدرسة البيهقية: وقام بتأسيس هذه المدرسة الفقيه الإمام أبو الحسن علي بن الحسين البيهقي (ت414هـ/1023م) (23).

مدرسة أبي سعد الزاهد: وقام ببناء هذه المدرسة الفقيه الشافعي عبد الملك بن أبي عثمان محمد بن إبراهيم الملقب أبو سعد الزاهد في مدينة نيسابور، ووقف عليها أوقافاً (24).

المدرسة الصابونية: تم بناء هذه المدرسة من قبل الإمام أبي عثمان إسماعيل الصابوني (ت449هـ/1057م) (25).

مدرسة الصعلوكي: بني هذه المدرسة سهل من محمد بن سليمان بن هارون الصعلوكي (ت404هـ/1013م)، وكان مفتي المدينة، ويلقب بشمس الإسلام (26).

مدرسة المشطي: وهي من المدارس المعروفة في مدينة نيسابور، من قبل فقهاء الشافعية هناك، وتم إنشائها في سنة (454هـ/1063م) (27). وكانت في مدينة نيسابور بعض المدارس على المذهب الحنفي، ومن أهمها:

المدرسة الصاعدية: وهي المدرسة التي بناها القاضي والفقيه الحنفي أبو العلاء صاعد بن محمد، عماد الإسلام (ت432هـ/1040م)، وهو ينتمي إلى عائلة الصاعدية، وكانت هذه العائلة تتوارث على منصب القضاء في مدينة نيسابور (28).

مدرسة الصفدي: وقام ببناء هذه المدرسة الفقيه الحنفي أبو الحسن علي بن الحسن الصفدي (ت484هـ/1091م)، ويعد هذا الفقيه من الزهاد، ومن المتميزين في الفقه الحنفي (29).

المدرسة الناصحية: هنالك عائلة تنتمي إلى الفقه الحنفي في مدينة نيسابور، وهي عائلة الناصحية، وقام قاضي القضاة أبو محمد عبد الله بن الحسين الناصحي (ت447هـ/1055م) ببناء هذه المدرسة (30).

فضلاً عن ذلك، فقد كانت هنالك بعض المدارس الأخرى والمتنوعة في مدينة نيسابور، ومنها ابن حيان السبتي، وهي مدرسة أهل الحديث وتعتمد على العلوم الحديثية، وقام ببنائها الإمام أبي حاتم ابن حيان السبتي (ت354هـ/965م) (31)، ومدرسة الصبغي، والتي قام بتأسيسها عالم نيسابور ومحدثها أبي بكر بن إسحاق بن أيوب بن يزيد الصبغي (ت342هـ/953م)، وعالم إمام المحدثين في دفته (32).

ومدرسة القطان، والتي بناها أبي إسحق إبراهيم بن محمود بن حمزة المالكي المعروف بالقطان في مركز المدينة (33).

المدارس التي وردت في كتاب المنتخب من السياق:

لقد ورد في كتاب المنتخب من السياق، ترجمة العشرات من العلماء والفقهاء والمحدثين لمدينة نيسابور وسنتطرق إلى تراجم العلماء الذين ارتبطوا بعلاقة وظيفية لأحدى المدارس، وهذا لا يعني أن البقية الباقية من التراجم لم يكونوا لهم علاقة بالمدارس، ولكن يبدو لنا أن المؤلف لم يذكر ذلك لجميع لأسباب تتعلق به، وسنقوم في هذا البحث بعرض من هذه المدارس التي ذكرت ضمن سياق التراجم في الكتاب، ووفق الحروف الأبجدية:

المدرسة البيهقية: ويذكر صاحب كتاب المنتخب في تراجمه، بأن (أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد بن عبد الصمد الحافظ أبو صالح) وهو المؤذن الأمين، المحدث، الثقة الصوفي، وقد صحب مشايخ الصوفية، فإنه كان يقوم بالاعتماد عليه على كتب الحديث المجموعة في الخزائن الموروثة عن المشايخ الموقوفة على أصحاب الحديث، وكانت موضوعة عنده في حجرة المدرسة البيهقية، فكان يصونها ويتعهد حفظها ويتولى أوقاف المحدثين من الحبر والكاغد وغير ذلك فيقوم بتفريقها عليهم وإيصالها إلى مظانها ويقوم بعمارة المدرسة فضلاً عن مجالس الوعظ للمسلمين، وكان يأخذ صدقات الرؤساء والتجار ويوصلها إلى المستحقين والمستورين من ذوي الحاجات والأرامل واليتامى وأولي الضرر، وكان إذا فرغ يجمع ويصنف ويفيد، وولد سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وتوفي في يوم الأثنين التاسع من شهر رمضان سنة سبعين وأربعمائة (34).

المدرسة السعيدية: ومن خلال ترجمة (نصر بن ناصر الدين أبي منصور سبكتكين الأمير العالم أبو المظفر كبير أخو السلطان يمين الدولة أبي القاسم محمود بن سبكتكين، فإنه قد قدم نيسابور،

والياً عليها سنة تسعين وثلاثمائة، فسمع المشايخ، وصحب الأئمة، واستفاد منهم، وأحسن الولاية، وقام ببناء المدرسة السعيدية، ووقف عليها الأوقاف، وعاد إلى غزنة وتوفي بها وذلك في رجب سنة اثنتي عشرة وأربعمائة(35).

مدرسة الشحامي: يتبين لنا بأن (مسعود بن أبي بكر أبي أحمد بن محمد أبو القاسم الهروي الأنصاري)، والذي كان مليح الشمائل وأبوه من خواص مريدي شيخ الإسلام إسماعيل الصابوني، وهذا مسعود سمع وكتب في مدرسة الشحامي وتوفي فيها، وهو ما زال كهلاً في شهور سنة نيف وسبعين وأربعمائة(36).

مدرسة الصابوني: وهي مدرسة إسماعيل الصابوني في نيسابور، ومن أساتذة هذه المدرسة هو (محمد بن حسان بن محمد بن القاسم الإمام أبو بكر بن أبي الوليد، وكان عالماً فاضلاً، ثقة، عدل، وكان محدثاً في هذه المدرسة وتوفي سنة سبعين وأربعمائة(37)، وكذلك يتطرق صاحب الكتاب في مكان آخر من كتابه، بأن (عبد الله بن طاهر بن أحمد الشبلي البوشنجي، وهو فقيه محترم، فاضل، قدم إلى نيسابور سنة خمس وأربعمائة إلى مدرسة الصابوني، ويضيف بأنه عقد له مجلس الإملاء(38)، ومجلس الإملاء هو من أرفع المجالس في الحضارة العربية الإسلامية، ويقول حاجي خليفة في ذلك: بأن مجلس الإملاء، وهو أن يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس، فيتكلم العام بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم ويكتبه التلامذة فيصير كتاباً ويسمونه الإملاء والأمال(39).

مدرسة صاعد بن محمد الحيري: يظهر لنا من خلال ترجمة (صاعد بن محمد الحيري) بأنه فاضل، وفقهه، وصحب مجموعة من الأساتذة في رحلاته، وحصل على إجازة في التفسير والمعاني، ثم عاد إلى نيسابور وتولى مدرسته في هذه المدينة(40).

مدرسة الصعلوكي: يذكر المؤلف بأن (محمد بن يحيى بن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن سختويه أبو بكر ابن أبي زكريا المزكي المحدث بن المحدث الظريف العزيز الذي نشأ في حجور الأئمة والرؤساء، وكان يقوم بالدرس في مدرسة سهل الصعلوكي، وتوفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة للهجرة ودفن بجوار المدرسة(41).

مدرسة الصبغي: وترجمة (أحمد بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن جعفر بن أحمد بن موسى أبو بكر السبتي) الفقيه وهو من كبار فقهاء أصحاب المذهب الشافعي في مدينة نيسابور وكانت له المروءة الظاهرة والثروة الوافرة، وسمع الكثير بنيسابور والعراق وعقد له مجلس الإملاء في مدرسة الصبغي الواقعة في باب الجامع القديم في نيسابور، توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة(42).

المدرسة العمادية: يتبين لنا من خلال ترجمة (إسماعيل بن عمرو بن محمد بن محمد بن أحمد بن جعفر الزكي أبو سعيد ابن أبي عبد الرحمن البحيري العدل). وكان حسن الاعنقاء، نقي الجيب، وكان أبو سعيد حسن القراءة عارفاً ببعض طرق الحديث، وعقد له مجلس الإملاء بعد الصلاة في المدرسة العمادية، فأملى سنين ثم كف في آخر عمره فبقي في البيت مدة، توفي في يوم الثلاثاء السابع عشر من ذي الحجة سنة إحدى وخمسة مائة (43).

المدرسة القشيرية: ويخبرنا صاحب المنتخب في كتابه، بأن (سعيد بن محمد القاني، أبو الفضل فاضل صوفي، قدم نيسابور، وخدم المشايخ وعقد له مجلس الوعظ في المدرسة القشيرية (44). مدرسة المشطي: وترجمة (محمد بن محمد بن زيد العلوي السيد الإمام أبو الحسن وأبو المعالي ذو الكنيتين الحسني (البغدادي)، وهو ثقة، فاضل. كتب الحديث الكبير، وجمع كتباً ودخل نيسابور ونزل في مدرسة المشطي، وسمع من مشايخها، وعقد له مجلس الإملاء في هذه المدرسة، وقرأ عليه من تصانيفه، قتل سنة 480هـ (45).

المدرسة النظامية: تم الحديث سابقاً عن دور الوزير نظام الملك في عهد السلطانين السلجوقيين (ملكشاه والرب أرسلان) في بناء المدارس النظامية في بغداد ونيسابور، حتى أصبح الحال بأن من يذكر المدارس في التاريخ الإسلامي، حتى يتم ذكر المدرسة المستنصرية في بغداد ومدارس النظامية، وتبين لنا أن أسباب قيام هذه المدرسة يعود إلى أسباب عقديّة وسياسية، وسنعرض تراجم الشيوخ والأساتذة في المدرسة النظامية في نيسابور ووفق الحروف الأبجدية، ومنهم (أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن خلف أبو بكر أبي الحسن الشيرازي)، والأديب الصوفي، فاضل نسيب مشهور، ثقة. وتم عقد مجلس الإملاء له في المدرسة النظامية يوم الجمعة بعد الصلاة وأملى سنين ويضيف صاحب الكتاب قائلاً: (لم أر في المشايخ الذين سمعنا منهم أكثر اتقاناً ولا أضبط في الدراية منه. توفي في الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وأربعمائة (46).

وكذل فإن (إسماعيل بن زاهر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي الفقيه الإمام أبو القاسم النوقاني، ثم النيسابور)، فاضل، جليل، ثقة، أمين. ومن أركان فقهاء أصحاب الشافعي، سافر إلى العراق، وسمع بمكة، وروي عنه سنين وعقد له مجلس الإملاء في المدرسة النظامية، وحضر مجلسه الأكابر، وتوفي سنة 479هـ (47).

ومن أساتذة النظامية، سهيل بن سهل بن أبي سهل بن بشر بن أحمد الأسفراييني، أبو الفضل معروف مشهور ومن أركان المدرسة النظامية، وسمع الحديث من المحدثين المعروفين في عصره (48).

أما عبد الواحد عبد الكريم بن هوازن القشيري، أبو سعيد الإمام الخطيب، وهو أوجد عصره فضلاً ونفساً وحالاً، نشأ صبياً في عبادة الله وفي التعلم، خطب لمدة خمس عشرة سنة ينشئ في كل جمعة خطبة جديدة جامعة للفوائد معددة من الفوائد لم يكرر منها شيئاً وما تلثم فيها حيناً، وعقد لنفسه مجلس الإملاء عشيات الجمع في المدرسة النظامية وتكلم على المتون يستخرج المشكلات ويستتبط المعاني والإشارات ويزينها بالحكايات والأبيات، وكان مجلسه مقصوراً في جوانب المسائل وروايات الأخبار والاقتصار على حكايات السلف والمشايخ، توفي يوم الأحد وقت الظهر من جمادي الأولى سنة أربع وتسعين وأربعمائة(49).

أما ترجمة (علي بن سهل بن العباس الإمام أبو الحسن المفسر العالم العابد)، الزاهد، نشأ في طلب العلم وتبحر في العربية، وكان صحيح اللفظ، وكان يُحدث في المدرسة النظامية، توفي ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وأربعمائة(50).

ومن قضاة نيسابور الذين ذكرهم صاحب المنتخب هو، (محمد بن أحمد بن أبي جعفر الطبسي القاضي أبو الفضل فاضل زاهد، صوفي، ورع، دين، ثقة، كتب الكثير وسمع وجمع التصانيف المفيدة)، أدرك الأسانيد العالية وسمع المسانيد، وتم تكليفه بمجلس الإملاء في المدرسة النظامية، توفي سنة اثنين وثمانين وأربعمائة(51).

ومن الشيوخ الذين قدموا نيسابور هو، (محمد بن أحمد بن عبيد الله الحفصي أبو سهل المروري، قدم نيسابور، شيخ مستور، ظهر له سماع صحيح البخاري بمرو، يقول صاحب الكتاب: (وهو آخر من رواه عنه فيما أظنه فسمع منه المشايخ بمرو، وظهر له العز والقبول بذلك السماع، وحمل إلى نيسابور بسبب ذلك وأكرمه الوزير نظام الملك وقرئ عليه الصحيح في المدرسة النظامية، وحضر أولاد القضاة والأئمة والرؤساء، وانتق له مجلس قام بهم وبالفقهاء قل ما عهدنا مثله وكنا حاضرين ولما فرغ منه رده مكرماً إلى مرو، وكان حضوره سنة خمس وستين وأربعمائة(52).

أما الفقيه الشافعي (محمد بن ثابت بن الحسن أبو بكر الخجندي الشافعي)، الإمام هو من فحول أهل النظر والتذكير سافر الكثير، وعقد مجالس التذكير في البلدان، قدم نيسابور، وعقد له المجلس في النظامية، وحضره جمع كثير، ووقع كلامه في كل فن من القلوب الموقع الرفيع، ثم خرج في أيام الوزير نظام الملك إلى اصبهان واستوطنها، وفوض إليه نظام الملك المدرسة والأوقاف وقعد للتدريس والنظر، وتخرج منه جماعة وبقي إلى أن توفي سنة 483هـ(53).

أما (محمد بن محمد بن أحمد بن همياه أبو نصر الرامشي المقري، شيخ فاضل، وكان له حظ صالح من النحو، وهو أمام في وقته ارتبط مع الوزير نظام الملك في المدرسة النظامية بنيسابور،

وليقرئ في المسجد المبتنى فيها فتخرج منه جماعة، ولم يزل يفيد إلى آخر عمره وله شعر كثير وأداب من آداب المنادمة، سمع حضراً أو سفيراً توفي سنة تسع وثمانين وأربعمائة (54). وأن (المظفر بن عبد الله بن خليفة، أبو سعد (الخواري) من الفقهاء المعروفين، وعقد له مجلس الإلماء في المدرسة النظامية (55)، ولم يبين لنا صاحب الكتاب سنة وفاته. ومن الفقهاء المعروفين هو (منصور بن طاهر بن عبد الله المروباذي، الإمام الرئيس أبو القاسم) معروف من مشاهير الأئمة من أولاد العمداء أو الرؤساء قام بالتدريس بالمدرسة النظامية، ثم انفضه نظام الملك إلى الري للتدريس في المدرسة وناط به رئاسة أصحاب الشافعي، ثم ابتلى بالصرع (56).

ويذكر لنا أن (منصور بن محمد عبد الجبار السمعاني المروزي الإمام) والملقب، أبو المظفر، وكان وحيد عصره في وقته فضلاً وزهداً وورعاً، من بيت العلم والزهد، وأبوه أحد القضاة المعروفين في مرو، ونشأ في التعلم، ودرس على أبيه الفقه وتخرج فيه، وصار من فحول أهل النظر، وبقى على ذلك يدرس ويناظر ويطالع كتب الحديث، وخرج في شبابه إلى الحج وقدم نيسابور وحضر مجلس المناظرة، وتكلم في المسائل يحضره أمام الحرمين، فارتقى كلامه وخاطره، واثنى عليه، وقصد نيسابور مرة أخرى، واستقبله استقبلاً عظيماً حسناً، وكان يدرس في المدرسة النظامية، وبعد أن أقام في النظامية نيسابور عاد إلى مرو وعقد له مجلس التذكير والتدريس في مدرسة أصحاب الشافعي، وصار من الوجوه والأكابر المعتبرين، ورفع نظام الملك من خشمته وجذب بضعيه وقدمه على أقرانه، وعلا أمره، وظهر له الأولاد والأصحاب (57).

خاتمة البحث:

يتناول هذا البحث دراسة عن المدارس في كتاب (المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور للصريفيني). وتبين لنا أن أصل هذا الكتاب جاء بعنوان (السياق لتاريخ نيسابور)، لمؤلفه (عبد الغافر بن إسماعيل بن أبي الحسين الفارسي النيسابوري (ت529هـ/1134م)، ثم قام (إبراهيم بن محمد الأزهر بن أحمد بن محمد الحافظ الصريفيني ت 641هـ/1243م)، بأن ينتخب مجموعة من المعلومات المهمة في كتابه الذي أسماه (المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور). والكتاب بصورة عامة هو كتاب تراجم لعلماء ومحدثين وفقهاء في مدينة نيسابور، فكان الكتاب حافلاً بالكثير من الشروح والمعلومات المهمة عن هؤلاء العلماء.

ويمكننا في خاتمة البحث ان نبين النتائج الآتية:

أن الكتاب يحتوي على معلومات مهمة لبعض المدارس في نيسابور. أن المؤلف قد ذكر لنا معلومات عن بعض المدارس ولم يذكر لنا كل تفاصيل المدارس من خلال تراجمه.

أن أغلب تراجمه كانوا من المتصوفة، وذلك لانتشار التصوف في المشرق الإسلامي في تلك الحقبة التاريخية.

يتضح لنا من خلال هذا البحث، ذلك التراث العلمي المتميز لمدينة نيسابور في العصور الإسلامية المتأخرة، من خلال المساجد والمدارس ودور العلم.

قيام الوزير نظام الملك بالتشجيع للتعليم والدراسة، وذلك لأسباب عقدية وسياسية.

أن أغلب أساتذة وشيوخ المدارس في نيسابور آنذاك، كانوا يقومون بالتدريس، ومجالس الإملاء، ومجالس الوعظ، كان لكل شيخ عمله المتخصص في المدارس.

يظهر لنا أن أغلب هذه المدارس في نيسابور كانت مدعومة مالياً من كبار رجال الدولة أو من الأثرياء، أو من قبل الفقهاء الميسورين.

أن مدارس نيسابور كانت منافسة ومكملة لتبادل الأدوار العلمية مع مدارس بغداد، والمدارس الأخرى في العالم الإسلامي.

أن مؤلف الكتاب، كان حافظاً ودقيقاً في تدوين معلوماته وأخباره، والبعض منها، كان معاصراً لها، وبذلك فإن الكتاب هو بمثابة شاهد عيان على الجوانب الحضارية والعلمية لتلك الفترة التاريخية في مدينة نيسابور.

الهوامش:

- (1) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت771هـ/1369م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناجي، ط2، دار هجر للنشر، ج4، ص314.
- (2) الصفدي، صلاح الدين (ت764هـ/1362م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوطي وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة2000م، ج2، ص268.
- (3) ابن خردادبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت280هـ/893م)، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ص(23-24).
- (4) قومس: وهي تعريب (كومس)، كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع وقصبتها المشهورة دامغان، وهي في ذيل جبل طبرستان بين الري ونيسابور. ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1993، ج4، ص414.
- (5) سرخس: مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة وهي بين نيسابور، ومرو في وسط الطريق بينهما. ينظر: ياقوت الحموي، م.ن، ج3، ص208.
- (6) هراة: مدينة عظيمة من أمهات مدن خراسان فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة. ينظر: م.ن، ج5، ص396.
- (7) ابن خردادبة، المسالك والممالك، ص224.
- (8) الأصخري، أبو القاسم إبراهيم بن محمد الكرخي (ت346هـ/957م)، المسالك والممالك، تقديم: د. حماة الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، ص146.
- (9) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي (ت367هـ/977م)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1992، ص433.
- (10) السامانيون: وينتمون إلى جدهم الأعلى سامان بن خداه بن حسمان بن طغات، ولذلك يسمون بالسامانيين وقاموا بتأسيس الإمارة السامانية. ينظر: النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت348هـ/959م)، تاريخ بخارى، تعريب: د. أمين عبد المجيد بدوي، دار المعارف، القاهرة، 1965م، ص(105-106).
- (11) النرشخي، م.ن، ص30.
- (12) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م)، العبر في خير من غير، تحقيق: صلاح الدين منجد، الكويت، 1984م، ج2، ص287.
- (13) السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي (ت771هـ/1371م)، معيد النعم ومبيد النقم، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1986م، ص85.
- (14) السبكي، م.ن، ص85.
- (15) النرشخي، تاريخ بخارى، ص30.
- (16) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ص314.
- (17) ينظر: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/1200م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج9، ص128.
- (18) ينظر: معروف، ناجي، مدارس قبل النظامية، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1973م، ص60.
- (19) السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص171.
- (20) ينظر: ابن قاضي شهبة، تقي الدين الأسدي (ت851هـ/1447م)، طبقات الشافعية، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط1، ج1، ص159.
- (21) الصريفيني، إبراهيم بن محمد بن الأزهر (ت641هـ/1243م)، المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989، ص138.
- (22) السبكي، طبقات الشافعية، ج4، ص80.
- (23) السبكي، م.ن، ج4، ص314.

- (24) السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت562هـ/1166م)، الأنساب، تعليق: عبد الله عمر البارودي، ط1، دار الجنان، بيروت، 1988، ج2، ص351.
- (25) السمعاني، التخبير في المعجم الكبير، تحقيق: منيرة ناجي، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1975، ص127.
- (26) السبكي، طبقات الشافعية، ج4، ص393.
- (27) السبكي، م.ن، ج5، ص311.
- (28) السهمي، أبو القاسم حمزة بن يوسف (ت427هـ/1035م)، تاريخ جرجان، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1981، ص509.
- (29) محي الدين الحنفي، أبو محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي (ت775هـ/1372م)، الجواهر المغنية في طبقات الحنفية، ط1، مكتبة الأسرة، 1993م، ج1، ص358.
- (30) السمعاني، الأنساب، ج5، ص446.
- (31) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت774هـ/1372م)، البداية والنهاية، تحقيق: د. عبد الله بن المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، بدون سنة، ج11، ص293.
- (32) الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: عبد السلام التدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993، ج15، ص483.
- (33) ينظر: معروف، مدارس قبل النظامية، ص37.
- (34) الصريفي، المنتخب، ص108؛ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت463هـ/1070م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 2002م، ج5، ص238.
- (35) الصريفي، المنتخب، ص(463-464).
- (36) الصريفي، م.ن، ص436.
- (37) م.ن، ص59.
- (38) م.ن، ص275.
- (39) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، ص161.
- (40) الصريفي، المنتخب، ص261.
- (41) الصريفي، م.ن، ص58؛ ينظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت852هـ/1448م)، لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أو غرة، ط1، مكتبة المطبوعات الإسلامية، 2002م، ج3، ص290.
- (42) الصريفي، المنتخب، ص936؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج4، ص276.
- (43) الصريفي، م.ن، ص(147-148).
- (44) م.ن، ص238.
- (45) م.ن، ص58.
- (46) م.ن، ص110؛ الذهبي، العبر، ج3، ص315.
- (47) الصريفي، المنتخب، ص139؛ الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد (ت1089هـ/1679م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 1986، ج3، ص363.
- (48) الصريفي، المنتخب، ص249.
- (49) م.ن، ص(339-340).
- (50) م.ن، ص394.
- (51) م.ن، ص58؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ج4، ص158.
- (52) الصريفي، المنتخب، ص60؛ الحنبلي، العبر، ج3، ص261.
- (53) الصريفي، م.ن، ص(68-69)؛ الصفي، الوافي بالوفيات، ج2، ص281.
- (54) الصريفي، المنتخب، ص64؛ ياقوت الحموي، معجم الأديباء، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ج6، ص45.
- (55) الصريفي، م.ن، ص451.

(56) م.ن، ص445.

(57) م.ن، ص(241-244)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج9، ص35.

المصادر:

- الاصطخري، أبو القاسم إبراهيم بن محمد الكرخي (ت346هـ/957م)
- 1- المسالك والممالك، تقديم: د. حمادة الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/1200م)
- 2- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت852هـ/1448م)
- 3- لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غرة، ط1، مكتب المطبوعات الإسلامية، 2002م.
- الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد (ت1089هـ/1679م)
- 4- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ومحمود الأرنؤوط، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 1986م.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي (ت367هـ/977م)
- 5- صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1992.
- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت280هـ/893م)
- 6- المسالك والممالك، دار صادر، بيروت.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت463هـ/1070م)
- 7- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م)
- 8- تذكرة الحفاظ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
- 9- سير أعلام النبلاء، تحقيق: عبد السلام التدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993.
- 10- العبر في خبر من غير، تحقيق: صلاح الدين منجد، الكويت، 1984م.
- 11- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت771هـ/1369م)
- 12- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناجي، ط2، دار هجر للنشر، (بدون، ت).
- 13- معيد النعم ومبيد النقم، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1986.
- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت562هـ/1166م)
- 14- الأنساب، تعليق: عبد الله عمر البارودي، ط1، دار الجنان، بيروت، 1988.
- 15- التحبير في المعجم الكبير، تحقيق: منيرة ناجي، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1975.
- السهمي، أبو القاسم حمزة بن يوسف (ت427هـ/1035م)
- 16- تاريخ جرجان، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1981.

- ابن شهية، تقي الدين الأسدي (ت851هـ/1447م)
- 17- طبقات الشافعية، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن.
- الصريفيني، إبراهيم بن محمد بن الأزهر (ت641هـ/1243م)
- 18- المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989.
- الصفدي، صلاح الدين، (ت764هـ/1362م)
- 19- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة 2000م.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت774هـ/1372م)
- 20- البداية والنهاية، تحقيق: د. عبد الله بن المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، بدون سنة.
- محي الدين الحنفي، أبو محمد عبد القادر بن نصر الله القرشي (ت775هـ/1372م)
- 21- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ط1، مكتبة الأسرة، 1993.
- النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت348هـ/959م)
- 22- تاريخ بخارى، تعريب: د. أمين عبد المجيد بدوي، دار المعارف، القاهرة، 1965.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت626هـ/1228م)
- 23- معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.
- 24- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1993.

المراجع:

- حاجي خليفة
- 1- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- معروف، ناجي
- 2- مدارس قبل النظامية، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1973.